ملامح الشخصية

اسمه ولقبه

اتفق أصحاب السير والمحقِّقون على أن اسمه عبد الله بن أبي قحافة، من قبيلة قريش، أمه أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه .

ومن ألقابه العتيق واخْتُلِفَ في وقت تلقيبه به وفي سببه فقيل : لعتاقة وجهه ـ أي لجماله ـ وقيل لقدمه في الخير وقيل : لعتاقة نسبه ـ أي : طهارته إذ لم يكن في نسبه شيء يعاب به ـ وقيل : سمي به أولاً ثم سمي بعبد الله .

وعندما سئلت السيدة عائشة عن اسم أبي بكر قالت : اسم أبي بكر الذي سماه به أهله عبد الله ولكن النبي ﷺ سماه عتيقا "

وأخرج الحاكم وصححه عن السيدة عائشة قالت : والله إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذ أقبل أبو بكر فقال النبي ﷺ : " من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر " .

أما الصديق فقيل : كان يلقب به في الجاهلية لما عرف منه من الصدق وقيل : لمبادرته إلى تصديق رسول الله ﷺ فيما كان يخبر به قال ابن إسحاق عن الحسن البصري وقتادة : وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء وأخرج الحاكم في المستدرك عن السيدة عائشة قالت :

جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا : هل لك إلى صاحبك ؟ يزعم أن أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم فقال : لقد صدق إني لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة و روحة فلذلك سمي الصديق "

و أخرج الحاكم في المستدرك عن النزال بن سبرة قال : قلنا لعلي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر قال : ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد كان خليفة رسول الله ﷺ على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا " [إسناده جيد]

مولده ونشأته

ولد أبو بكر بعد مولد النبي ﷺ بسنتين وأشهر فقد مات وله ثلاثة وستون سنة .

كان أنسب قريشاً لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان ذا خلق ومعروف يأتونه الرجال ويألفونه .

كان يعمل بالتجارة ويعد من أغنياء مكة المعروفين .

قال النووي عن أبي بكر: " كان من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم ومحببا فيهم وأعلم لمعالمهم فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه ودخل فيه أكمل دخول . فهو أحد عشر من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام فكان إليه أمر الدِّيات والغُرْم وذلك أن قريشاً لم يكن لهم مَلِك ترجع الأمور كلها إليه بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها فكانت في بني هاشم السقاية والرفادة ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم وكانت في بني عبد الدار: الحجابة واللواء والندوة . أي : لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم وإذا عقدت

قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار وإذا اجتمعوا لأمر إبراماً أو نقضاً لا يكون اجتماعهم إلا بدار الندوة ولا ينفذ إلا بها وكانت لبني عبد الدار ."

صفاته الخلقيَة

عن السيدة عائشة أن رجلاً قال لها : صفي لنا أبا بكر .

فقالت : " كَانَ أَبْيَضَ نَحِيفًا ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ (خفيف شعر الخد)، أَجْنَأَ(الجَنَأ : مَيْلٌ في الظَّهر) ، لَا يَسْتَمْسِكُ إِزَارَهُ (الإزار ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن) ، يَسْتَرْخِي عَنْ حِقْوَيْهِ (الحَقْو : الخَصْر ومَشَدُّ الإزار) ، مَقْرُونَ الْحَاجِبِ ، غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ ، نَاتِئَ الْجَبْهَةِ (بارز)، عَارِيَ الْأَشَاجِعِ (وهي عروق ظاهر الكف)، مَعْرُوقَ الْوَجْهِ ، وَكَانَ يُخَضِّبُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ ؛ (الكتم : نبت يخلط بالحناء ويصبغ به الشعر)"

وعلى ذلك يكون الوصف الشكلي الظاهر لأبي بكر رجل نحيل الجسم قليل اللحم ؛ يسقط ثوبه السفلي من خصره ، أبيض الوجه ، بارز الجبهة ، غائر العينين ، معروق الوجه واليدين ، خفيف شعر الخدين محني الظهر قليلاً ، يصبغ شعر رأسه ولحيته بالحناء .

وأخرج عن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس في أصحابه أشمط (شمط شعره اختلط سواده ببياضه) غير أبي بكر فلفها بالحناء والكتم " .

صفته الخُلقيَة

أما صفته الخُلُقيَّة فقد صحَّ عن السيدة عائشة قولها : " والله ما قال أبو بكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية " .

وعندما سُئل أبو بكر : هل شربت الخمر في الجاهلية ؟
قال : أعوذ بالله .
فقيل : ولم ؟
قال : كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي فإن من شرب الخمر كان مُضَيَّعاً في عرضه ومروءته قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : " صدق أبو بكر صدق أبو بكر مرتين " .

اختلف المحققون وأهل السير في أول من أسلم لذا سنتتبع الأمر منذ بدء الوحي حتى نقف على حقيقة أول من أسلم .

بدء الوحي

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : " أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ

حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ " [متفق عليه]

تحقيق أول من أسلم

ووفقاً لهذا الحديث المتفق عليه فإن ورقة بن نوفل هو أول من آمن ؛ حيث إنه هو الذي بشَّر النبي ﷺ بالرسالة ووعده بالتأييد والنصرة .

وقول ورقة " يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ " يؤكد صدق إيمانه وتمنيه التمكن من نصرة وتدعيم النبي ﷺ والدعوة بكل ما يستطيع .

" وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ " أي : توفي بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضي عنه فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي ونية صالحة للمستقبل .

وقد روى الإمام أحمد عن عائشة : أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل ؟ فقال : " قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض " [حسنه الألباني]

وعن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل ؟ فقال : " قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس "

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : " لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين " [جيد الإسناد] (١)

وعلى ذلك يكون ورقة أول من أسلم ولكنه لم يلبث أن مات بعد بدء الوحي بقليل لذا لا يذكره أصحاب السير كأول من أسلم .

ثاني من أسلم

أما ثاني من أسلم فهي السيدة خديجة بلا شك وهي التي ذكرت من صفات النبي ﷺ قبل البعثة ما يقطع باستحالة تواني إسلامها ولا سيما أنها شهدت بنفسها قصة بدء الوحي ورأت من حال النبي ﷺ عند عودته من الغار ومن بشارة ورقة له بالرسالة .

قال ابن إسحاق: وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدقت بما جاء منه.

فخفَّف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس " (٢)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى [عَلَيْهَا] فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِين قَدْ

(١) ناصر الدين الألباني " صحيح السيرة النبوية " المكتبة الإسلامية عمان ص ٩٤
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٢٦

أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا؟ قَالَ: مَا أَبْدَلَنِى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِى إِذْ كَفَرَ بِى النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِى إِذْ كَذَّبَنِى النَّاسُ، وَوَاسَتْنِى بِمَالِهَا إِذْ أَخْرَجَنِى النَّاسُ، وَرَزَقَنِى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِى أَوْلاَدَ النِّاس." [صحيح أحمد]

ثالث من أسلم

أما ثالث من أسلم فهو علي بن أبي طالب بحكم وجوده في حِجْر النبي ﷺ ولقد تردد في البداية ثم سرعان ما شرح الله قلبه للإيمان يقول ابن إسحاق " ثم إن الله أوقع في قلب علىٍّ الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت على يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : " تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد " ففعل على وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبى طالب، وكتم علىٌّ إسلامه ولم يظهره. " (١)

ثم يأتي إسلام زيد بن حارثة الذي كان يسمى حينئذ زيد بن محمد حيث تبناه النبي ﷺ ونسبه إليه ، كان زيد يعيش في بيت النبوة ومُطَّلع على أدقِّ أحواله ومحباً للنبي ومؤثراً على أبويه وأهله وقومه .

يقول ابن إسحاق : " وأسلم ابن حارثة، يعنى زيداً، فمكثا قريبا من شهر، يختلف علىَّ إلى رسول الله ﷺ وكان مما أنعم الله به على علىٍّ أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. (٢)

إسلام أبي بكر

ثم يأتي إسلام أبي بكر صديق النبي ﷺ وأحب الناس إليه بعد أهله حينئذ .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٢٨

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٢٨

وبعد أن حقَّق ابن كثير الروايات التي ذكرت أول من أسلم قال : " والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء، وظاهر السياقات – وقبل الرجال أيضاً – وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة.

وأول من أسلم من الغلمان على بن أبى طالب، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذا ذاك أهل البيت.

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدَّم ذكرهم إذ كان صدراً مُعظَّماً، ورئيساً في قريش مُكرَّماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محببا مُتألِّفا يبذل المال في طاعة الله ورسوله. " (١)

لماذا اشتهر أن أبا بكر أول من أسلم ؟

ونظراً لأن إسلام أبي بكر كان أنفع للدعوة من إسلام من تقدَّم ذكرهم: ورقة بن نوفل ، وخديجة ، وعلى وزيد فإن كثيراً من الصحابة والتابعين قد صرَّح بأنه هو أوَّل من أسلم على هذا الأساس .

وبهذا تؤول كل الأحاديث والأقوال التي تنص على أن أبا بكر هو أو من أسلم مثل قول علي بن أبي طالب " أول من أسلم من الرجال أبو بكر " وقول زيد بن أرقم :" أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر " .

وقول الشعبي : " سألت ابن عباس أي الناس كان أول إسلاماً ؟ قال: أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * إلا النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٢

كيف أسلم أبو بكر ؟

هذا عن تحقيق أول من أسلم أما عن قصة إسلام أبي بكر فيذكرها ابن إسحاق كالتالي : " إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله ﷺ فقال: أحقٌّ ما تقول قريش يا محمد ؟ مِنْ تَرْكِكَ آلهَتَنا، وتَسْفِيهك عقولَنا، وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ " بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فو الله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته ".

وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر.

فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق."

وروى ابن إسحاق عن بن عبد الله بن الحصين التميمي، أن رسول الله ﷺ قال: " ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر، ما عكم عنه حين ذكرته، ولا تردد فيه ".

عكم: أي تلبث.

تعليق ابن كثير على رواية ابن إسحق

ويعلِّق ابن كثير على رواية ابن إسحاق فيقول : " وهذا الذي ذكره ابن اسحاق في قوله : " فلم يُقِرَّ ولم يُنْكِرْ " منكر، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم، ولا عكم. (١)

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٣

وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبى الدرداء في حديث ما كان بين أبى بكر وعمر من الخصومة، وفيه: " فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي إِنِّي قُلْتُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ " (١)

***

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٤